

حديث صحافي للمسؤول العسكري لـ "المقاومة الإسلامية" في لبنان، يتناول فيه المتغيرات العسكرية في الشريط الحدودي المحتل في الجنوب اللبناني.*

■ لوحظ أن العمليات العسكرية الثلاث المتلاحقة التي أوقعت قتلى في صفوف الإسرائيليين حصلت في منطقة واحدة تقريباً: اثنتين في "مركبا" وواحدة في "بلاط" القريبة نسبياً منها، وهذه العمليات جاءت متشابهة من حيث نوعيتها، أي عبوة ناسفة مزروعة إلى جانب طريق تعبر عليها دورية، وليست اشتباكاً أو مكمناً استخدمت فيه القذائف الصاروخية. ما هي المعاني والدلالات العسكرية والتكتيكية لهذه المعطيات الجغرافية والعسكرية؟ □

تركز المقاومة الإسلامية في عقيدتها العسكرية على استنزاف العدو وإلحاق أكبر أذى ممكن في تشكيلاته القتالية، خصوصاً العنصر البشري، وبأقل خسائر ممكنة في صفوف المقاومة وفق تكتيك تنوع الأساليب القتالية والتحول الجغرافي من منطقة عمليات إلى أخرى في سبيل تضليله وإنهاكه وخلق حال ضياع لديه. فلو تابعنا حركة عمليات المقاومة وتنوع أساليبها أخيراً لوجدنا أن [هناك] تعدداً في الأساليب، بدءاً بعملية الريحان بتاريخ 1998/7/29 التي استهدفت تجمع أفراد في حقل للرياحية ونتج عنها قتل وسبعة جرحى في صفوف العدو. ثم انتقلنا إلى عملية التومة وتدمير سيارة القيادي اللحدي قائد الفوج العشرين وتدمير الآلية وقتل جميع من كان فيها (4 قتلى)، ثم إلى الفوج الثلاثين اللحدي واستهداف قائده نديم أبو رافع وقتل ضابطين وجرح آخرين، ثم عملية حاصبيا وما فيها من تحول جغرافي واستحداث منطقة عمليات جديدة للمقاومة وخرق العمق الآمن للعدو إلى ما فيها من دلالات تقنية من حيث تدمير تصفيح العدو لآلياته العسكرية فضلاً عن الخسائر البشرية التي مني بها.

ثم نعود إلى مركبا حيث تم اختراق إجراءات العدو الدفاعية (مكامن، إشراف المواقع بالرؤية وبالنار، التقنيات العالية الرادارية والحرارية وأنظمة الرؤية الليلية، والحضور الدائم لطيران الاستطلاع، والجهوزية العالية للطيران الحربي والمروحي، وإمكان التدخل سريعاً لمصلحة قوات العدو وعملائه).

ثم نأتي إلى أسلوب قنص الدبابات. فالعدو الذي تعرض لنكسة "الميركافا" الشهيرة منذ مدة غير بعيدة سعى في سبيل الحفاظ على ما تبقى من معنويات جنوده وتقنياته إلى إخفاء تموضع دباباته ومكامنه المؤللة وعدم إظهارها للمناطق المحررة كي لا تكون هدفاً لأسلحة المقاومة.

والجديد أن مجموعة من وحدة قنص الدبابات توغلت في دورية للداخل وكمنت للدبابة، وتم تدميرها بصاروخ مضاد للدروع. اكتشف العدو الدورية فاستنفرت كل المواقع وفتحت المواقع المسيطرة بالرؤية النار على خط انسحاب المجاهدين بغزارة. وقصفت مرابض المدفعية خطوط القعر التي يسلكها المجاهدون في منطقة العملية. وأعطيت الأوامر لمرائب الإسناد الناري لتقصف مرابض العدو التي تعيق انسحاب المجاهدين. ثم فتحت النار بالرشاشات الثقيلة والأسلحة المباشرة على الدشم والتحصينات في المواقع (الدبشة، علي الطاهر، الطهرة) فأسكتتها، وتدخل الطيران المروحي فتصدت له المضادات الأرضية وأجبرته على الانكفاء. ودام انسحاب الأخوة ثلاثة أرباع الساعة، سيطرنا على الأرض سيطرة تامة وعاد الإخوة في سلام.

لم تمض ساعات على ذلك حتى انتقلنا من منطقة عمليات النبطية إلى إقليم التفاح حيث تم تدمير دبابة "ميركافا" أخرى، ثم إلى بلاط غرب الجبهة ولم تمض أربع وعشرون ساعة، وبأسلوب مختلف دمرت عبوة ناسفة ضخمة دبابة وناقلة جند، واعترف العدو بذلك. وظن أنها الضربة الوحيدة.

* "الحياة" (لندن)، 1998/12/16. وقد أجرى الحديث حازم الأمين.

انتظر المجاهدون تجمع جنود العدو في نقطة افتترضت وحدة الهندسة في المقاومة الإسلامية أنها نقطة الإخلاء والتجمع لدورية العدو المستهدفة بعد الضربة الأولى، وبالفعل صدقت التوقعات فاجتمعوا عند العبوة الثانية وتم تفجيرها فقتل اثنان وجرح أربعة. كل هذه الأمور تؤكد امتلاك المقاومة زمام الكيفية والحيثية في الزمان والمكان.

■ تحدث الإسرائيليون أخيراً أنهم سيعتمدون أكثر على سلاح الجو في ملاحقتهم المقاومين وفي حركتهم العسكرية والأمنية. إلى أي حد يمكنهم الاعتماد على الطائرات في الجنوب؟ وهل يمكن للمقاومة الالتفاف على هذا الموضوع؟

□ ليس جديداً استخدام العدو سلاح الجو في المعركة. ولا يمكننا القول إنه أتى بجديد. وما أعلن أخيراً من توصيات أو قرارات إنما يصب في خانة اللعب على الرأي العام وخصوصاً الإسرائيلي. فالتكتيك الذي يتبعه العدو منذ مدة، والقاضي القيام بغارات على المرباض المدفعية للمقاومة أو خطوط التسلل أو الانسحاب في اتجاه الشريط المحتل أو على تحصينات المقاومين في جبل صافي لم يجد نفعاً، إذ تؤكد الأرقام أن أكثر من 70 غارة لم تؤد إلى إصابة أي مجاهد من إخواننا.

عسكرياً، قد يشكل سلاح الطيران بأنواعه (الحربي، المروحي، الاستطلاعي) عبئاً على حركة القوات البرية ما لم يحسن المستهدف الاستفادة من الأرض (تمويهاً واستتاراً) ومجاهدونا يحسنون الاستفادة من الأرض والتعايش معها وبالتالي تكتيك العدو هذا جديد. قديم بالنسبة إلينا وقد اعتدنا ولا يؤثر علينا كثيراً وتشاهدون عملياتنا الجريئة في اقتحام المواقع والالتحام مع العدو وعملائه في وضح النهار على رغم الحضور السريع لسلاح الجو لديه.

■ تحدث الإسرائيليون أيضاً عن اعتمادهم أكثر تقنيات عسكرية متطورة تقلل حاجتهم إلى العنصر البشري. فهل أمام المقاومة خيارات مشابهة في عمليات الرصد والاستكشاف؟

□ العدو ومن خلفه التقنيات الأميركية المتطورة الموضوعية في تصرفه مصاب بحال هستيريا تكنولوجية. فقد زج بأحدث تقنياته ولم تجد نفعاً. أخبرني أين أسطورة التدرج؟ تدرج السيارات العسكرية والميركافا؟ أين أسطورة "الروبوت" والسيطرة على عبوات المقاومة؟ وأين أصبحت تقنيات التشويش على أنظمة التفجير التي تتبعها المقاومة؟ وأين تأثير الرادارات المدفعية في وحدة الإسناد الناري؟ وماذا فعلت الرادارات الحرارية والمناظير الليلية لتحول دون وصولنا إلى مركبا والعديسة وكفر كلا ورب ثلاثين وبلاط والطيري ومرجعيون... وغيرها؟

نشر العدو أنظمة التحسس والاستشعار عن بُعد. واعتمد أنظمة المراقبة التلفزيونية لخطوط القعر ومحاور التسلل. ولا تغادر طرادات الاستطلاع (MK) سماء المنطقة في الجنوب والبقاع الغربي. واعتمد مبدأ المكامن الجوية، أي ثبات المروحية في الجو مدة طويلة خارج مدى الأسلحة التقليدية للمقاومين ومراقبة الأرض من الجو، فضلاً عن الدرع اللحدي البشري، ومكامن المشاة الإسرائيلية ووحدات النخبة والمكامن المؤلفة وحقول الألغام وصواريخ التاو والـ (HELL FIRE) المتطورة والقنابل العنقودية والقذائف المسماية والسائر الدخانية وتدريب الأفراد من الرأس إلى الفخذين. كل هذا، نعم كل هذا بل أكثر، ومع ذلك فإننا نجوب الشريط طولاً وعرضاً نعبث بمعنوياته نجندل جنوده وندمر قوافله.

ومع تقنيات المتواضعة، نؤكد أننا أفضلنا تقنيات العدو، وهذا ما اعترف به في شأن فشله في حرب الأدمغة، وباختصار لا يمكن الإسرائيلي العبث كثيراً بطبيعة نشر قواته الآن لأنه خفف أقصى ما يمكنه من وجود أو حركة، إلا إذا ظن أنه يمكنه أن يحتل أرضاً ويثبت بها ويسيطر عليها (بالريموت كونترول) وحينها نقول له إن مكانك الطبيعي ليس في أرضنا إنما في "ديزني لاند".

■ في ضوء النجاحات الأخيرة، هل لاحظتم تغييراً في طبيعة انتشار جيش الاحتلال وفي حركته، خصوصاً أن مسؤولين فيه أشاروا بعد عملية كفر تبنيث إلى أن لدى المقاومين تقنيات سمحت لهم ليلاً بتحديد السيارة التي سيفجرون فيها عبوتهم التي كانت ضمن موكب كبير؟

□ لا جديد في انتشار قوات العدو، لا في اللواء الشرقي ولا اللواء الغربي. ونستبعد أن يكون لديه الكثير ليقوم به في هذا المجال. إذ لا نعتقد أنه سيرسل اللحدي (المنتمي إلى جيش لبنان الجنوبي الموالي لإسرائيل) إلى المواقع الحدودية في ظل أزمة الثقة والاعتقالات لضباط العملاء وجنودهم.

نعم في حركته تكتيك ملموس، هو تخفيف الحركة الروتينية إن لم يكن إلغائها تماماً، وأهمية العمليات الأخيرة تكمن في استهداف الحركة غير الروتينية له، وهذا ما شغله ودفعه إلى التدقيق أكثر في إمكان الخرق الاستخباراتي في صفوفه أو صفوف العملاء.

أيضاً يقوم العدو ولتقليل خسائره النهارية بتبديل قواته (بدائل المواقع) ليلاً وبأساليب وأوقات مختلفة، أما كيف نتمكن من تحديد الهدف: سيارة كان أم دورية وتمييزه، فلا أعتقد أن الصحف هو المكان المناسب للحديث عن ذلك؟

■ سبق أن جربت المقاومة الهجمات على المواقع الإسرائيلية الثابتة. أما العمليات الناجحة فثبت أنها تلك التي تستهدف دوريات سواء كانت راجلة أم مدرعة. ما الفارق بين نوعي العمليات هذه؟ وما هي ظروف كل نوع منها؟

□ في المدة الأخيرة اعتمدت المقاومة أسلوب الهجوم على المواقع ذات الوجود الإسرائيلي الدائم أو الموقت كموقع سجد الذي كانت تشغله قوة إسرائيلية حين تمت العملية الصامتة، وتمكن أحد مجاهدينا من التسلل إليه (بتاريخ 1998/8/9) واصطدم مع جندي وانهال عليه ضرباً ثم غادر الموقع في سلام. أيضاً اقتحام موقع بئر كلاب وزرع الرايات والسيطرة عليه على رغم وجود قوة صهيونية فيه.

وهذه العمليات النوعية التي تستهدف اقتحام المواقع إنما تؤكد أموراً عدة: قدرة المقاومين على دخول المواقع عنوة وفي وضوح النهار، وعلى إسكات نيران مواقع العدو كافة على امتداد الجبهة حين نشاء، وشل قدرة العدو على امتداد الجبهة، إذ تعتمد كل قوة إلى الانشغال بنفسها عن غيرها ظناً منها أنها المستهدفة، وتوجيه ضربة معنوية من خلال زرع الراية على الموقع وتصوير ذلك وبثه إلى العالم أجمع وإثبات قدرة المقاومة على السيطرة، وضرب قوة المشاة المرابطة في الموقع وإلحاق الأذى فيها وتدمير دشم الموقع وتحصيناته وما يستتبع ذلك من أعمال تجعل العدو أكثر عرضة لنيراننا في ما بعد، وإثبات قدرة المقاومة على العمليات المعقدة وما تستوجب من تنسيق لأسلحة الإسناد (الموجه والقوسي) وسلاح الهندسة (فتح الثغرات) والمشاة.

أما عمليات العمق والمكامن المزدوجة (تفجير فإغارة بالنار) فلها إضافة لطابعها المعنوي طابع تكتيكي يؤكد سيطرة المقاومين على العمق والعبث بأمن العدو في عمقه، إضافة إلى استنزافه بحجم الخسائر التي يلحقها هذا النوع من العمليات في صفوفه إذ تتم إصابة الجنود مباشرة بعيداً من التحصينات والمواقع التي تكون عادة في المواقع.

استهدفنا آليات العدو ودورياته الراجلة ومواكب انتقال جنوده وهاجمنا مواقعه المحصنة. واستهدفنا نقاط تموضع مكامنه. وما أربك العدو الآن أننا نستهدف خط سير مكامنه، ولا سيما الآتية للتو من الداخل (داخل فلسطين) عبر أساليب تمويه وتعمية مختلفة.

■ ثمة رأي يقول إن الصراع بين المقاومة وجيش الاحتلال الإسرائيلي هو صراع بين جهازين يتطلب نجاح أي منهما إمكانات تقنية ومالية وتأهيلية كبيرة. ويرى أصحاب هذا الرأي أن هذه الطبيعة من الصراع تفقد المقاومة شرطاً أساسياً من شروط نجاح حروب الأنصار، أي اعتمادها على عنصر التعاون الأهلي في المناطق المحتلة خصوصاً وأن معظم هذه المناطق أصبحت اليوم مقفرة. ومن تبقى من الأهالي مراقبون في شدة وفاقدون أي قدرة على التحرك. فكيف يمكن تعويض هذا الأمر؟ وما هي الصعوبات التي ترتبه؟

□ إن الحرب التي تخوضها المقاومة الإسلامية مع العدو الإسرائيلي فاقت حرب الأجهزة لتدخل حرب القوى مع الفارق الكمي والنوعي بين هاتين القوتين. فلا قياس للإمكانات التقنية والمالية واللوجستية والعديدية، ومع هذا فإن كلاً من طرفي الحرب يسعى إلى فرض تفوقه الميداني اليومي والتكتيك النوعي. وحاول جيش العدو مرتين الخروج عن حدود اللعبة التكتيكية والتعاطي مجدداً مع أصول الحرب كلاسيكياً فخاض حربين ضدنا عامي 1993 و1996، وفي المرتين أثبتنا أن لحمنا لا يؤكل وأننا ندرك من أين تؤكل الكتف. فعاد إلى حيث نريد، أي حرب الاستنزاف.

وفي حلقة من حلقات حرب الأدمغة وجهنا الصفحة تلو الأخرى للعدو على مستوى أجهزته وقوات النخبة (وحدة المظليين، لواء غفعاتي، لواء غولاني، وحدة إيغور، وحدة شيطت 13 و"صفحة أنصارية الشهيرة"). أما جهاز الموساد فقد أثبت جهاز الأمن في المقاومة الإسلامية تفوقه النوعي عليه، إذ تمكن من خرقه في أكثر من حال، وأعلننا ذلك وتمكنا من تفكيك الكثير من الشبكات الأمنية، ومنهم من أعدم ومنهم من يقضي عقوبات في سجون الدولة اللبنانية. ومن هنا ندخل إلى موضوع التعاون الأهلي. فالأهالي في المناطق المحررة هم عضد لجهازنا

الأمني وعينه. أما الأهالي في الشريط المحتل فنحن في الأصل لا نريد أن نحملهم ما لا يطيقون، فمجرد صمودهم في وجه الاحتلال وعدم مغادرة أرضهم إنما هذا شكل من أشكال المقاومة. فلعبة الاحتراف بيننا وبين جيش العدو لا تنطبق عليها مفردات المقاومة المسلحة كما يصطلح عليها في احتلالات مماثلة. فبعد 15 سنة من العمليات العسكرية من الطرفين وقراءة المعطيات اليومية والاستفادة من التجارب وتحسين الأداء وسد الثغرات باتت مشاركة المدنيين ليس فقط لا تقدم جديداً إنما أيضاً لا تخدم حركة الصراع بين قوتين محترفتين. ماذا سيخبرنا الأهالي؟ وهل يمكن أن تخطط لعملية مبنية على أساس إخبارية مدنية تفتقد إلى المعطيات العسكرية الدقيقة؟ بالطبع لا.

عسكرياً لا يمكنك الاعتماد على معلومات غير دقيقة. وعسكرياً يقوم جهاز الاستخبارات العسكري بتحصيل معلومات من صفوف العدو أو حواشيه بأساليب الترغيب أو التهيب أو غيرها، أو من خلال دوريات الاستطلاع التي تتولى جمع المعلومات الميدانية أولاً بأول. إننا لا نواجه أي مشكلة في جمع المعلومات عن العدو ونحن مسيطرون على حيثيات تحركاته كمن يقرأ كفه.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org

يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر: http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx